



دراسة مقارنة للعولمة، التهميش والتابع في الأدب العربي والفرنسي (رواية الأزمان المظلمة ورواية غلوباليا أنموذجاً)

A Comparative Study of Globalization, Marginalization, and Subaltern in Arabic and French Literature (The Novel of Dark Times and the Novel of Globalia as an Example)

هدى موسوي

جامعة أصفهان - إيران mousavi.hoda60@gmail.com

أحمد رضا صاعدي*

جامعة أصفهان - إيران a.saedi@fgn.ui.ac.ir

تاريخ النشر:

2025-01-31

تاريخ القبول:

2024-10-20

تاريخ الإرسال:

2023-07-23

ملخص: انتشرت رواية الأزمان المظلمة للكاتب السوري، طالب عمران، ورواية غلوباليا للكاتب الفرنسي جون كريستوف روفين بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001م، وقد تجلّت مفاهيم العولمة، التهميش، والتابع بوضوح في الروايتين المذكورتين. في هذا البحث تمت القراءة المقارنة ضمن تحليل المابعد استعماري للروايتين، مع التركيز على مفاهيم العولمة، والهامشية والتابع، والهدف المنشود هو الكشف عن رأي المؤلفين حول القضايا المطروحة ودراسة أوجه التشابه والاختلاف بينهما. تدلّ النتائج على أن عمران وروفين، كانا من أشد المعارضين والمنتقدين للعولمة، وكذلك يلاحظ في رواية غلوباليا ورواية الأزمان المظلمة أن العالم منقسم إلى قسمين؛ القسم الأول في المركز، يشكل عالماً متحضراً، لديه أنواع المرافق والرفاهية والتقنيات الحديثة والقسم الآخر على الهامش، يعيش في الفقر والحرمان والتخلف مع كل الصفات السلبية المنسوبة إليه كالوحشية والبربرية والإرهاب.

* المؤلف المرسل

كلمات مفتاحية: نظرية ما بعد الاستعمار؛ العولمة؛ الهامش؛ التابع؛ الأزمان المظلمة؛ غلوباليا.

Abstract: The novel *The Dark Times* by the Syrian writer, Talib Umran, and the novel *Globalia* by the French writer Jean-Christophe Ruffin spread after the events of September 11, 2001 AD, and the concepts of globalization, marginalization, and dependency were clearly evident in the two aforementioned novels. The comparative reading in this research was carried out within the post-colonial analysis of the two novels, with a focus on the concepts of globalization, marginality, and dependency. The results indicate that Umran and Ruffin were among the staunch opponents and critics of globalization. It is also noted in the novel *Globalia* and the novel *The Dark Times* that the world is divided into two parts; The first section is in the center, constitutes a civilized world, has all kinds of facilities, luxury and modern technologies, and the other section is on the periphery, living in poverty, deprivation and underdevelopment with all the negative attributes attributed to it such as brutality, barbarism and terrorism.

Keywords: Postcolonial theory; globalization; margin; subaltern; Dark Times; *Globalia*.

1-مقدمة: تعد دراسات "ما بعد الاستعمار" أحد المجالات الجديدة للدراسة حول قضايا البلدان المستعمرة وخاصة دول العالم الثالث وتتضمن مجموعة من الأساليب النقدية والنظرية التي تم استخدامها في دراسة ثقافة المستعمرات السابقة للإمبراطوريات الأوروبية (الأدب والسياسة وما إلى ذلك).

نظرية ما بعد الاستعمار أو لنكون أكثر دقة، نظريات ما بعد الاستعمار، لا تقتصر على طريقة أو مدرسة معينة، ولكنها تعتمد على افتراضات معينة: تشكك هذه النظريات في فائدة وجود الإمبراطورية في المستعمرات (والتي هي واضحة في تعبيرات مثل "هبة الحضارة"، "التراث الأدبي البريطاني" أو حتى "الحداثة") وتثير قضايا هامة مثل العنصرية والاستغلال.¹ لهذه النظرية العديد من المفاهيم كالعولمة، والعالم الثالث، والهامشية والتابع وغيرها من المفاهيم.

في هذا البحث تتم القراءة المقارنة لرواية "الأزمان المظلمة" للكاتب السوري، طالب عمران ورواية "غلوباليا" (*Globalia*) للكاتب الفرنسي، جون كريستوف

روفين (Jean Christophe Rufin) ضمن تحليل المابعداستعماري مع التركيز على مفاهيم العولمة، والهامشية والتابع.

انتشرت الروايتان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م التي شكلت بداية حقبة جديدة في تاريخ العالم وتغييراً في آليات ممارسة السلطة؛ ف"منذ أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، وما يسمى الحرب العالمية على الإرهاب، والغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق، من الصعب الآن أكثر من ذي قبل أن نرى عالماً على أنه مابعد كولونيالي بكل بساطة."² يصور عمران وروفين في روايتهما عالماً منقسماً إلى قسمين؛ قسم لديه أنواع المرافق والرفاهية والتقنيات الحديثة والقسم الآخر يعيش في الفقر والحرمان والتخلف. وفي غضون ذلك تحاول القوى العظمى تولي قيادة العالم من خلال المطالبة بالأمن والحرية والثقافة والحضارة للشعوب.

ترتكز السياسة الخارجية لتلك القوى العظمى على إيجاد عدوّ خارجي لضمان بقاء حكومتها، ويتم المبالغة في توصيف خطره فيستخدم كمسوغ لتوحيد المجتمع؛ لأنّ الخوف من العدو يسبب وحدة الشعب وتضامنه، كما يؤكد على ذلك رون التمان أحد مؤسسي دولة غلوباليا قائلاً: الناس بحاجة الى الخوف... في مجتمع حرّ، هذا هو الشيء الوحيد الذي يسبب التضامن. من غير تهديد، من غير عدوّ، من غير خوف، ما الذي يجب أن يكون العمل لأجله؟ لماذا يجب مراعاة النظام؟ تقبل مني أن مفتاح المجتمع المتوازن هو وجود العدو.³ لذلك فإنّ القوى العظمى تستخدم الفقر والتخلف كورقة رابحة وتظهر على أنه هو العامل الوحيد لتنفيذ العمليات الإرهابية، عمليات إرهابية تقوم بها هي بطريقة مصطنعة وملفقة وتتهم حكومات الشرق بها حسب قول الكاتبيين.

فبهذه الطريقة، ومن أجل تحقيق أهدافها دائما ما تخيف الشعب من دول الشرق ونتيجة لذلك تشكلت نظرة مهينة وممزوجة بالذعر والخوف من الغرب تجاه الشرق.

الجدير بالذكر هنا أن في كلتا الروايتين، ما يدفع الناس إلى النظر إلى بعضهم البعض بطريقة مرعبة هو الإعلام الذي تقوده القوى العظمى ويصفه عمران في روايته قائلاً: "الإعلام التابع يظهر العكس، يظهر الطمأنينة والراحة في قتل الناس الذين سمتهم القوى العظمى بالأشرار... مع أن الابرياء ضحايا الدمار كان عددهم كبيراً".⁴ في الواقع تعد وسائل الإعلام إحدى الأدوات التي يستخدمها الغرب لخلق ثنائيات متباينة كالغرب والشرق، الأنا والآخر أو المركز والهامش وهي تحدد بعضها البعض في موقف معاكس تماما.

يقول برتنس نقلاً عن كتاب الاستشراق: إن الدونية التي ينسبها الاستشراق إلى الشرق تعمل في نفس الوقت على بناء تفوق الغرب. إن الشهوانية واللاعقلانية والبدائية والاستبداد في الشرق تجعل الغرب عقلاً وديموقراطياً وتقدمياً وما إلى ذلك.⁵ بعبارة أخرى يخصص الغرب الجوانب الإيجابية له ويجعل الشرق في القطب السلبي، من أجل تثبيت موقعه الأعلى ووضع الشرق في موقع أدنى.

إن لقد تجلّت مفاهيم العولمة، والتهميش، والتابع بوضوح في الروايتين المذكورتين، حيث انعكست آراء المؤلفين ووجهات نظرهما حول هذه القضايا وهذا ما يجعلنا نطرح العديد من الأسئلة، من أهمها: ما هو موقف الكاتبين تجاه العولمة؟ هل هما من المعارضين والمنتقدين لهذه الظاهرة أم من الموافقين؟ كيف يرى الكاتبان التهميش في العالم ومن هم المهمشون؟ من هو التابع في كل من الروايتين وهل يستطيع التعبير عن صوته؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة قمنا بتحليل هذه المفاهيم في الروايتين ضمن المنهج الوصفي التحليلي والهدف المنشود هو الكشف عن رأي

المؤلفين حول القضايا المطروحة والمثيرة للجدل في الروايتين ودراسة أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

فرضيات البحث:

1. كان عمران وروفين من المعارضين والمنقدين للعولمة نظرًا إلى انتشار روايتيهما بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001م.
2. المهمشون هم الفقراء والمضطهدون في العالم الثالث والبلدان النامية ويرى الكاتبان أن مثل هذه الانقسامات (العالم الأول والثاني والثالث أو البلدان المتقدمة والنامية) ليست طبيعية على الإطلاق ويتم تحديدها بإرادة بشرية وتدرجيًا.
3. التابع هو من يعيش في دول العالم الثالث وهو لا يستطيع التعبير عن صوته، لأن هناك قوة مهيمنة ولها الخطاب السائد.

2- أولاً: الإطار النظري

1.2 العولمة: العولمة ترجمة للمصطلح الإنجليزي "Globalization" وهي تعني إكساب الشيء طابع العالمية. فالعولمة مشروع حضاري غربي متكامل البنيات، أوجده التلاقي بين التطلعات والحاجات الغربية من جانب، والإمكانات المادية الهائلة التي أوجدتها الطفرات الكبيرة في تقنيات الاتصال والمعلومات والصناعات المتقدمة من جانب آخر.⁶ في الواقع، ظهر هذا المصطلح بسرعة خاطفة في النصف الثاني من الثمانينات، وحتى ذلك الحين كانت كلمات مثل "الدولي" و"العلاقات الدولية" على الألسن.

كان ظهور كلمة "دولي" في القرن الثامن عشر علامة على الأهمية المتزايدة للدول المجاورة التي تم تضمينها في تنظيم العلاقات الاجتماعية. يعكس الاهتمام المتزايد بالعولمة بصورة مماثلة التنظيم غير المستقر للعلاقات الاجتماعية حول العالم

في القرن الحالي. في هذه الحالة بدأت أهمية "الأمة" في التراجع؛ لأن الأفراد والمجتمعات تمكنوا من الوصول إلى الثقافة والمعرفة العالمية وتأثروا بالواقع الاقتصادي الذي يتجاهل الحدود الحكومية.⁷

لطالما كان للمحلّين مواقف مختلفة تجاه العولمة، فالبعض يقبلها بحماس كواحدة من خصائص عالم متغير، ويرى أن الوصول إلى التكنولوجيا وخدمة المعلومات والأسواق سيعود بالفوائد على المجتمعات المحلية، بينما يرفضها الآخرون ويرونها شكلاً من أشكال هيمنة دول "العالم الأول" على دول "العالم الثالث"، وبين مجموعة مناصرة للعولمة ومجموعة ضدها، هناك مجموعة موضوعية "تعتقد أن العولمة عملية تبادل منافع وخبرات ومعارف بين جميع الأمم باختلاف حضاراتها وثقافتاتها، فهي أمر واقع يجب التعامل معه لتحقيق أعلى قدر من المكاسب والإقلال من الخسائر، فهي من هذا المنظور، لها آثار إيجابية وأخرى سلبية يجب التعامل معها بشكل متوازن".⁸ إذن تعتبر العولمة أحد الموضوعات الهامة لنظرية ما بعد الاستعمار؛ لأنه يمكن أن يكون لها تأثير مدمر على البلدان النامية وخاصة الفقراء في هذه البلدان.

2.2 الهامشية: تعد الهامشية من أكثر المفاهيم إثارة للجدل في خطاب ما بعد الاستعمار ولا تزال أساس أي محاولة لتحديد الفترة الاستعمارية والعلاقات بين الناس في تلك الفترة. بشكل عام، حدث الاستعمار عندما قبل الناس الثنائيات المتقابلة كالمركز والهامش التي ينقسم على أساسها العالم.

اعتمد التأسيس التدريجي للإمبراطورية على تسلسل هرمي ثابت يعيش فيه المستعمر كآخر للثقافة الاستعمارية؛ لذلك فإن فكرة "الهمجي" يمكن أن تتشكل بشرط وجود مصطلح ومفهوم "المتحضر" لمعارضتها. وبهذه الطريقة، تم رسم جغرافية الاختلاف وتم تعريف الإمبراطورية الأوروبية على أنها "مركز" هذه الجغرافيا وما كان

خارج هذا المركز يعد الهامش الحقيقي للثقافة والسلطة والحضارة. كانت مهمة الاستعمار أي استفادة الهامش من هذا المركز المستتير، هي المبرر الرئيسي للاستغلال السياسي والاقتصادي، خاصة بعد منتصف القرن التاسع عشر.⁹

وجد مفهوم الهامش كمصطلح موقعًا نظريًا مهما في أعمال جاك دريدا. ظهرت إعادة تفكير دريدا في الهامش في عصر كانت فيه العلاقة بين المراكز والهوامش موضع تساؤل من الأساس والمثال على ذلك أيضًا في أبحاث ميشيل فوكو المؤثرة حول أساليب الإقصاء وممارسة السلطة. هذه الأبحاث، التي تتميز عمومًا بنوع من "الشك الهرموني" والتشكيك في العملية الشمولية، تربط بشكل متزايد قضية العنصرية والطبقية والجنس والقضايا المتعلقة بالاستعمار بأشكال مختلفة من المعرفة والوساطة المعرفية في اللغة التي تحدث في شكل خطاب معين.¹⁰

إن فكرة المركز/الهامش مثيرة للجدل لأن المفكرين يعتقدون أن محاولة تحديد نموذج لهذه الثنائية قد تسبب في استمرارها. في الواقع، استخدم منظرو ما بعد الاستعمار هذا النموذج للقول بأن إنهاء مثل هذه الانقسامات يتجاوز الاستقلال الذاتي للهامش، ويرفضون بشكل جذري فكرة مثل هذا المركز. إنهم يفككون مزاعم المستعمرين الأوروبيين فيما يتعلق بالتماسك ومصدر النظام الذي يميزهم عن الآخرين. بهذا المعنى، فإن وضع حد لأنماط المركز/الهامش الثقافي قد شكك في أي ادعاءات حول القيم الثقافية الثابتة والنقية والمتجانسة ويظهر أن جميع الثقافات تتشكل من وجهة نظر تاريخية وبالتالي فهي تشكيلات متغيرة.

3.2 التابع: هذا المفهوم بعد نشر مقال "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟"، من قبل غاياتري سبيفاك أصبح مبدأ مهما في نظرية ما بعد الاستعمار. في هذا المقال، تؤكد سبيفاك على أنه إذا لم يكن للتابع تاريخ أو لا يستطيع التحدث في سياق الإنتاج الاستعماري، فإن المرأة التابعة تكون في الظل بشكل أعمق من الرجل التابع.¹¹ إن

"التابع" هو في الأساس مفهوم عسكري يشير إلى أولئك الذين هم في مرتبة أو مكانة أدنى. "وإن استخدام هذا المصطلح في النظرية النقدية مستمد من كتابات الكاتب غرامشي. وتستخدم سيففاك هذا المصطلح للإشارة إلى جميع المستويات المتدنية في المجتمع الاستعماري وما بعد الاستعماري."¹²

ترى سيففاك أن التابع لا يمكن أن يكون المتحدث باسمه، ولإثبات وجهة نظرها، تستخدم طقوس "ساتي" في الهند كمثال ملموس. في هذه الطقوس تضحي الأرملة الهندية بنفسها بعد وفاة زوجها وتلقي بنفسها في النار، حيث يحترق جسد زوجها، لكن المستعمرين البريطانيين عارضوا هذه التقاليد ومنعوا الهنود من القيام بذلك. حجة سيففاك هي أنه في التقاليد الهندية المتمثلة في حرق الأرامل عند وفاة أزواجهن، لم يسمح المستعمرون الإنجليز ولا الهنود للنساء بالتعبير عن آرائهن، إذن المرأة التابعة تختفي لأننا لم نسمعها نتحدث عن نفسها.¹³

تم تفسير عبارة "التابع لا يستطيع الكلام" أحياناً على ألا توجد طريقة يمكن من خلالها للمجموعات المضطهدة أو المهمشة سياسياً تأكيد مقاومتها، أو أن التابع يمكن أن يكون له لغة أو صوت مهيم مسموع، لكن هدف سيففاك هو فكرة الهوية التابعة التي تم بناؤها بشكل غير معقد، وليس قدرة التابع للتعبير عن اهتماماته السياسية. وجهة نظرها هي أنه لا توجد أي معارضة أو مقاومة من قبل التابع منفصلة تماماً عن الخطاب السائد.¹⁴ من الواضح أن وجود خطاب ما بعد الكولونيالية هو مثال على هذا الكلام، وفي معظم الحالات يتم الاستيلاء على اللغة السائدة أو أسلوب التمثيل لجعل الصوت الهامشي مسموعاً.

3-ثانياً: الإطار التطبيقي

رواية غلوباليا: رواية غلوباليا (2004م) للكاتب جون كريستوف روفين (Jean Christophe Rufin)، طبيب فرنسي، دبلوماسي، مؤرخ، رحالة وروائي. يرأس روفين

منظمة "العمل ضد الجوع"، وهو من أقدم أعضاء منظمة أطباء بلا حدود، وأصغر عضو في الأكاديمية الفرنسية. شغل منصب سفير فرنسا في السنغال من عام 2007 إلى يونيو 2010 وسافر إلى العديد من البلدان وكتب الكثير عن الإنسانية والعالم الثالث.

غلوباليا كلمة تحيلنا على معنى عالم موحّد بلا حدود، لكن القارئ يكتشف من خلال الرواية أنّ العالم الموحّد فيها ليس إلّا وهمًا، لأنه في الواقع لا يشكل سوى جزء من دول العالم وأزال بقية الأراضي من خريطته الخاصة به.

الزمن في هذه القصة غير محدّد، فهو مطلق وأحداثه تدور حول مكان خيالي وهو مكان متحضر مبني على أساس الحرية والديمقراطية، يتمتع سكانه بجميع أنواع المرافق المادية والرفاهية. هذه الأرض معزولة ومغطاة بقبة زجاجية، مقاومة للانفجار والصواريخ والقنابل الكيميائية لحمايتها من العالم الخارجي الذي يزرع تحت وطأة الفقر والتخلف والذي يهدد أمن البلد حسداً؛ فلهذا ينخرط في عمليات إرهابية لزراعة الأمن والراحة التي قدمتها الحكومة لسكانها. يقع الجزء الأكبر من غلوباليا في نصف الكرة الشمالي، وقواعدها الرئيسية في أمريكا الشمالية والصين وأوروبا حتى منطقة الأورال وكذلك في بعض الجزر الواقعة في الشرق الأقصى.¹⁵

لقد سئم بيكال، الشخصية الرئيسية في القصة، القوانين التي تحكم بلده، فقرر الرحيل إلى خارج البلد مع خطيبته كاثي، ومع أن الخروج كان صعباً للغاية وغير شرعي، فهو غادر بلده سرّاً لكنه فشل وتم القبض عليه. يرى رون ألتمان، أحد مؤسسي الحكومة، أن مفتاح المجتمع المتوازن هو وجود العدو فإن لم يوجد، فيُلزم خلقه وإيجاده بأي طريقة كانت، لأنّ الخوف هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يضمن ائتلاف الناس مع بعضهم البعض. في مجتمع حرّ، لا يتأتى ذلك دون وجود تهديد أو عدوّ أو خوف.¹⁶

فيطلب ألتمان من بيكال أن يقوم بدور العدو بينما يتم توفير جميع وسائل الخيانة له، فبهذه استطاع بيكال الهروب ومغادرة بلده وقد واجه ديستوبيا من نوع مختلف في المناطق اللامتناهية أو اللامحدودة، كما تسمى في الرواية، وكشف العديد من الحقائق المتعلقة بسياسة الحكومة. كذلك بويغ الذي كان يمثل شخصية أخرى في الرواية وهو صحفي جريء وصارم، يصادف حين عمله اكتشاف حقيقة "منظمة الحماية الاجتماعية" وأنها هي التي تقوم بالعمليات الإرهابية التي يتم تنفيذها تحت عنوان العدو الأجنبي. فقد بويغ وظيفته بعد اظهار هذه الحقيقة لدى رئيس التحرير ومحاولته للتعبير عنها في الجريدة؛ لكن هذا الحدث المؤسف لم يقلل من جراته، فهو كذلك سعيًا وراء المزيد من الحقائق، غادر غلوباليا.

يرسم روفين في روايته صورة لتداعيات العولمة التي تمتهن مستقبل البشر؛ "ومن منطلق العولمة هذا بات المبدعون ينسجون من ألوان الخيال ما يحيل الواقع البشري واقعاً واحداً، إنه زنزانة صغيرة متعددة المداخل، ولا مخرج فيها من غير الاستسلام للفناء مهما ابتعدت المسافات واختلفت الأديان واللغات والثقافات، وبات المركز الموحد بين هذه الشعوب جميعاً، من يمتلك القوى العظمى وما دونه هامش مهما بلغ من الشأن".¹⁷ فيطرح المؤلف في روايته قضايا شائكة مثل الإرهاب والمخاطر البيئية والفقر والحرمان باستخدام نوع الخيال العلمي، ويثير شكوكاً حول ما إذا كانت الديمقراطية والعولمة تستطيع إيجاد حل للمشاكل التي يعاني منها الإنسان المعاصر، وكذلك أسئلة حول مصير الإنسان والإنسانية في ظل تقدم العلم والتكنولوجيا.

رواية الأزمان المظلمة: رواية الأزمان المظلمة (2003م) تأليف طالب عمران، الأديب والمؤلف السوري والأستاذ في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق. يجيد عمران اللغة الإنجليزية والفرنسية والأردو والفارسية؛ وهو "كاتب غزير الإنتاج في

الأدب الخيال العلمي بشكل خاص". نشر العديد من الأبحاث في اختصاصه العلمي وهو عضو "اتحاد الكتّاب العرب" منذ 1980م وعضو "اتحاد الصحفيين العرب" منذ عام 1978م. أسس مجلة "الأدب العلمي" في جامعة دمشق وكذلك كان مدير ومؤسس "الفضائيه التربوية". له نشاطات في الإذاعة والتلفزيون وقد حصل على جائزة أفضل سناريو وإخراج لفيلم "الليلة الماطرة" وأفضل إخراج لفيلم "تدمير الأعجوبة".

تدور أحداث رواية الأزمان المظلمة في الحقبة التي تلت تاريخ إصدار الرواية، أي عام 2003م، وتزامناً مع هذا التاريخ يستخدم الكاتب تقنية الحلم أو الكابوس، للتعبير عما سيحدث عام 2039م. لقد اختار عمران هذا العنوان لروايته وبهذا أراد أن يعلن عن عصر عابس، قائم سيجلبه الواقع المرير الذي كان يعيشه الناس في تلك الفترة الزمنية. لم يحدد الروائي مكاناً معيناً لروايته لكنه رسم ديستوبيا ستغطي خصائصها العالم بأسره، بما في ذلك الجماد والنبات والحيوان والإنسان.

تبدأ القصة في المطار. يرجع الدكتور قاسم إلى وطنه بعد عشر سنوات من الغربة، وهو يحمل أعلى الشهادات العلمية، بعد أن قدم إنجازات كبيرة في الجامعات ومراكز البحوث في الدولة المتطورة التي كان يعمل فيها. وبمجرد وصوله تم اختطافه من قبل المنظمة الأخطبوطية "البنائون الأحرار". وقّرت له المنظمة جميع أنواع التسهيلات والرفاهية، وفي المقابل كانت تلزمه بالقيام بأنشطة كالقتل والقصف وتلويث المياه وما إلى ذلك، بينما كان يُقال له أن كل الأعمال التي يتم تنفيذها من قبل المنظمة، هي أعمال إنسانية وتكون في خدمة البشر.

في هذه الأثناء توقّعت والدّة الدكتور قاسم بسبب تلوث المياه؛ فتأثّر تأثراً بالغاً بوفاتها، وقرر أن يهرمن المنظمة، لكنه لم يفلح بذلك، وبعد اعتقاله ومحاكمته في المحكمة، أصدر القاضي أمراً قضائياً بإلباسه اللباس الأحمر وانتقاله إلى خليج غوانتانامو، مركز اعتقال الإرهابيين. وفي غوانتانامو ساعده جندي كان يعرفه من

قبل فاستطاع الهروب في النهاية. تزامناً مع قصة الدكتور قاسم، يروي الراوي أحداثاً تجري في المستقبل عبر أحلام يراها الدكتور هاني، زوج أخت الدكتور قاسم، ويزامن أحلامه مع الأحداث التي تدور حوله.

رواية الأزمان المظلمة من روايات الخيال العلمي وهي تصور خصائص القرن الذي بدأ بأحداث الحادي عشر أيلول 2001م والهجوم الأمريكي على أرض أفغانستان والعراق. عمران يعتقد أن القرن الحادي والعشرين هو قرن الحروب؛ القوة العظمى بحجة الدفاع عن نفسها والقضاء على الإرهاب، بدأت الحروب ووضعت العالم على شفا الموت وانعدام الأمن، فالكاتب بطريقة مثيرة يمتزج فيها الخيال بالواقع، يتحدث عن مخاوف الإنسان من مستقبل غامض ومظلم وسط عالم فوضوي حيث تتحكم سلطة طاغية ومستبدة.

1.3 العولمة في رواية الأزمان المظلمة وغلوباليا: إذا أمعنا النظر في عملية العولمة كنوع من السلوك، فإنها تتعلق بالظواهر التي حدثت في الماضي، وخاصة أسباب التخلف وقلة التنمية. كانت فتوحات العالم والاستعمار من قبل الدول الكبرى خطوة نحو العولمة والتقارب، لكن إنهاء الاستعمار أدى إلى فشلها. يعتقد بعض الخبراء أيضاً أن الوجه الحقيقي لعولمة اليوم ما زال خفياً؛ لأنها تعطي بشرى التحرر السارة، لكنها تخلق سلاسل جديدة لربط البشرية وفقدان النفس لصالح عدد قليل من آلهة الثروة والسلطة في العالم.

اليوم تواجه العولمة تحديات في جميع أنحاء العالم، لأنها يمكن أن تكون ظاهرة لأغراض مفيدة على سبيل المثال، أدت عولمة الأفكار المتعلقة بالديمقراطية والمجتمع المدني إلى تغيير طريقة تفكير الناس، وأدت الحركات السياسية العالمية إلى الإعفاء من الديون وإبرام اتفاقيات بشأن الألغام الأرضية. إضافة إلى ذلك، عولمة الاقتصاد جعلت الدول التي استخدمتها تجد أسواقاً جديدة لصادراتها واستفادت

منها عن طريق الترحيب بالاستثمار الأجنبي، أما بالنسبة لملايين الأشخاص الآخرين، فإن العولمة لم تفعل لهم شيئاً. لقد زاد الوضع سوءاً بالنسبة للعديد من الأشخاص الذين فقدوا وظائفهم وأصبحت حياتهم أكثر غموضاً.¹⁸

لذلك يمكن ملاحظة أن عملية العولمة كان لها العديد من النتائج. وفقاً لستيغليتز، كانت هجمات 11 سبتمبر مثلاً على هذه النتائج. يقول ستيغليتز: جعلت الهجمات الوحشية في 11 سبتمبر 2001م الأمريكيين يفهمون أننا جميعاً نعيش على نفس الكوكب. نحن مجتمع عالمي ومثل جميع المجتمعات، يجب أن نتبع القواعد لنكون قادرين على العيش معاً. يجب أن تكون هذه القواعد عادلة ومنصفة، ويجب أن تولي هذه القواعد الاهتمام الواجب للفقراء والأقوياء وأن تعكس الشعور بالاحترام والعدالة الاجتماعية.¹⁹ وهو يعتقد أن حجم المعاناة والمشقة التي فرضتها عملية العولمة والتنمية على البلدان النامية قد تجاوز المقدار اللازم. إن رد الفعل القوي ضد العولمة لا يرجع فقط إلى الضرر الذي ألحقته السياسات القائمة على الأيديولوجيا في البلدان النامية، بل يرجع أيضاً إلى عدم المساواة الموجود في نظام التجارة العالمي.

انعكست الآراء والنظريات المختلفة التي أثّرت حول قضية العولمة في العديد من الأعمال الأدبية وخاصة الروايات. عمران وروفين، كانا من أشد المعارضين والمنتقدين للعولمة وكلاهما كتب روايتهما بعد هجمات الحادي عشر سبتمبر وعبرا عن قلقهما بشأن الأحداث التي تلت ذلك، في قصتيهما.

يقول مديح، المراسل في رواية عمران، وهو يصف العولمة بوجهها القبيح: "كنت قد وقعت عقداً مع أحد الناشرين للكتابة عن أسرار ما يحاك من مؤامرات وإجراء لقاءات مع معارضي العولمة بوجهها القبيح،..."²⁰

كما أنه يعد العولمة خطة القوى العظمى وهي في الواقع نفس الخطة التي تستفيد منها الدول القوية مثل الولايات المتحدة وأوروبا، بينما تغرق الدول الأخرى أكثر فأكثر في مستنقع الفقر والبؤس.

"- ولكنك عولميّ الهوى، تسعى لفرض العولمة التي تخطط لها القوة العظمى..

-لنكن صريحين، القوة العظمى هي سيدة العالم، لماذا يريدون معاداتها، رغم أنها تساعد كثيراً من الشعوب الفقيرة.. أنا لن أقف في الخندق المعادي لها، وبصراحة أكثر أنا في صفها، ونتيجة انتخابي بأغلبية مطلقة، مع علم الناس بتوجهاتي، تدلّ على أن الشعب بغالبيته مع آرائي وإعلاناتي الانتخابية.."²¹

وفي قصة غلوباليا يصور المؤلف ديستوبيا التي ظهرت نتيجة للعولمة. لقد حاول الكاتب اختياره هذا العنوان لروايته اظهار نتائج العولمة على العالم والتي يراها مدمرة وضارة، خاصة على الدول النامية والضعيفة. يشرح روفين رأيه في هذه الظاهرة بالعبارات التالية:

قرأ بويج وكاثي نصاً قصيراً بعنوان "إلغاء الجنسية" الذي وضع أمامهما، يسمح هذا القانون لجميع أولئك الذين عاشوا فيغلوباليا بالتمتع بحقوق متساوية. رسمياً كانت هذه الوثيقة ولادة الديمقراطية العالمية، لكنهم نسوا أن يقولوا إنهم كانوا قد دفعوا جزءاً كبيراً من الجنس البشري إلى "العدم" في حين ولادة الديمقراطية العالمية.²²

يمكن ملاحظة خصائصك"الاستفادة من الحقوق المتساوية" و"إلغاء الجنسية" تعد من صفات العولمة، ومع ذلك وفقاً لرأي روفين، أدت ظاهرة العولمة إلى دفع جزء كبير من الجنس البشري إلى هاوية الدمار وبينما الغالبية العظمى محرومون من أبسط حقوقهم، البعض الآخر يعيش براحة تامة.

2.3 الهامشية في رواية الأزمان المظلمة وغلوباليا: كان الاستعمار الأوروبي يتطلب عدم المساواة في القوة وجعل ذلك ممكناً. هذه التباينات التي دارت حول

الاختلافات الواقعية، على ما يبدو، والخيالية، في الحقيقة، بين المستعمر والمستعمر، تعيد إلى الأذهان الفروق الخيالية بين المستفيدين من الاستعمار والسكان الأصليين المحرومين والتي تم خلالها تطبيع الشعور بالفصل بين الاثنين؛ وبهذه الطريقة، إذا تم اعتبار المستعمرين متحضرين، فقد اعتبر المستعمر متوحشاً، وإذا كان يُنظر إلى المستعمرين على أنهم عقلانيون، عالمون، ومثقفون، فإن المستعمرين يُرفضون على أنهم غير عقلانيين، وجاهلين، وساذجين.²³

إن ظهر مصطلح التهميش والهامشية بعد ظهور مثل هذه التقابلات؛ فإن تصور ووصف تجربة على أنها "هامشية" يأتي نتيجة للبنية المزدوجة لأنواع مختلفة من الخطابات السائدة مثل النظام الأبوي والإمبريالية والعرقية.

الهامشية عن غير قصد تعزز المركزية؛ لأن المركز هو الذي يخلق الوضع الهامشي. ببساطة يمكننا أن نسأل "من هم المهمشون؟" "ما هي الهوامش؟" وقد نميل إلى الرد دون وعي، "الإمبريالية تهمش، والشعوب المستعمرة مهمشة". لكن ليس كل المستعمرين على الهامش ولا يبقون على الهامش إلى الأبد. لا يمكن اختزال الإمبريالية في بنية وفي هندسة القوة التي تهمش أعرافاً معينة. الإمبريالية عملية مستمرة ويتم تنفيذها من خلال الأفراد وعلى الأفراد وتعيد انتاج نفسها ضمن فكرة هامشية. لذلك، على الرغم من انتشار التهميش كمصطلح للدلالة على أشكال مختلفة من الإقصاء والقمع، فإن استخدامه يحمل دائماً خطر تأكيد البنية نفسها التي خلقت في المقام الأول تهميش مجموعات معينة²⁴. إذن يمكن ملاحظة أن فكرة المركز/الهامش هي فكرة مثيرة للجدل؛ لأنه من المعتقد أن محاولة تحديد هذا النمط قد تسبب في استمراره.

في الواقع يقترح منظرو ما بعد الاستعمار عادةً استخدام هذا النموذج من أجل القول إن تفكيك مثل هذه المعارضات المزدوجة، بدلاً من مجرد إظهار استقلال

الهامشي، يضعف أيضًا بشكل أساسي فكرة مثل هذا المركز ويدمر مزاعم المستعمرين الأوروبيين بشأن الوحدة وإثبات نظام مختلف. بهذا المعنى فإن تفكيك وإنهاء أنماط المركز/ الهامش (هامشية) يشكك في أي ادعاء بوجود قيم ثقافية ثابتة ونقية ومتجانسة ويظهر أن جميع الثقافات تتشكل من وجهة نظر تاريخية وبالتالي فهي المنظمات القابلة للإصلاح والتكيف.²⁵

كذلك في رواية غلوباليا يلاحظ أن العالم منقسم إلى قسمين؛ جزء واحد يشكل العالم المتحضر الذي يوجد في المركز والجزء الآخر على الهامش، عالم اللامتناهي، مع كل الصفات السلبية المنسوبة إليه:

- أما بالنسبة إلى عالم اللامتناهي، فقد تم القضاء تمامًا على فكرة أن الذين يعيشون فيه سيجدون تطورًا تاريخيًا يومًا ما. لقد كانوا من بين أنواع الكائنات الأخرى التي لديها كل الصفات السلبية. أولاً قالوا: "هم منفصلون عن غلوباليا"، ثم: "هم ليسوا بشر"، وأخيراً قالوا: "إنهم غير موجودين على الإطلاق". وبهذه الطريقة تم العثور على كلمة "اللامتناهي" شيئًا فشيئًا.²⁶

هذا الانقسام واضح أيضًا في رواية الأزمان المظلمة؛ يعتقد عمران أن العالم انقسم عمومًا إلى قسمين، جزء يتكون من عدد قليل من الحكام والمتسلطين وأتباعهم، والجزء الآخر يتكون من كثير من الفقراء والمضطهدين:

"انقسم العالم بكامله يا دكتور هاني إلى قلة من المتحكمين والتجار والمتسلطين والتابعين، يملكون كل شيء، وكثرة من الفقراء المضطهدين المقموعين الذين لا أمل لهم في اختراق أسوار تطوقهم، أسوار من الخوف والقهر والاستلاب والعوز والجوع..."²⁷

وفقا لرأي ادوارد سعيد، فإن التقسيمات المحلية والإقليمية للشرق والغرب هي من صنع الإنسان. لذلك فإن العالم الشرقي، مثل العالم الغربي، فكرة لها تاريخ وتقاليد

في التفكير وكذلك صور ومفردات، أعطتها حقيقة وجودًا في العالم الغربي وللعالم الغربي. بهذه الطريقة تدعم هاتان الظاهرتان الجغرافيتان بعضهما البعض وتعكس كل منهما الأخرى إلى حد ما.²⁸ يقر روفين أيضًا بهذا الادعاء في قصته بالقول إن الحدود ليست طبيعية على الإطلاق ويتم تحديدها بإرادة بشرية وتدرجيًا:

قالت كاثرين بصوت عالٍ وهي تنظر إلى حدود المناطق الآمنة من مسافة بعيدة:

- في الواقع، غلوباليا أرخبيل!

أكدت فايس وهي محدقة عينيها:

- نعم، أرخبيل. لكن حدوده ليست طبيعية على الإطلاق. لقد حددت الحدود

خطوة بخطوة حسب الإرادة والفكر، ولا بد من القول إن تنظيمها لم ينته بعد.²⁹

إن المركزية الأوروبية والتعليقات الشهيرة للمنظرين المشهورين حول العالم الشرقي كنظرية ماركس في عام 1853 بأن "الهند ليس لها تاريخ ومن مزايا الاستعمار البريطاني أنه يدخل شبه القارة الهندية في سرد التاريخ الغربي". وادعاء هيغل في عام 1822 بأن "إفريقيا هي الجزء غير التاريخي من العالم" تأتي بوضوح في قصة غلوباليا. في هذه الرواية يتم تقديم المناطق اللامتناهية كجزء غير تاريخي من العالم، ونظرًا لبدائيتها، تعتبر ضد معايير التطور والحضارة الأوروبية:

- كما تعلمون أن المناطق اللامتناهية ليس لها تاريخ؛ لأنها تعتبر غير

مأهولة للسكن أو شبه فارغة. وللأسف يقال أن مجموعة من الإرهابيين وبعض البدائيين يعيشون هناك. أي شخص أنكر هذه الموصفات البرية حول المناطق اللامتناهية، قد ارتكب خطيئة مزدوجة. لأنه من ناحية، يعارض الصفات العالمية لديمقراطية غلوباليا، ومن ناحية أخرى، من حيث البيئة، فإنه يعارض هذا الجزء اللامتناهي المنفصل عن الطبيعة والمملوك لغلوباليا.³⁰

هذه هي الصورة التي ترسمها الحكومة لشعبها عن المناطق اللامتناهية، لكن ليس أمام الناس خيار سوى قبول هذا التمثيل والتوضيح؛ لأن عدم قبولها يعني نفي الخصائص العالمية لديمقراطية غلوباليا وكذلك إنكار الطبيعة البرية للعالم خارجها. بالإضافة إلى ذلك، ليس أمام الناس في هذه المناطق خيار سوى قبول هذه الانقسامات والتمثيلات. هذا الخضوع والقبول هو نفس الرضا أو التسوية التي أطلقها غرامشي تحت عنوان السيطرة، ووجد سعيد أيضاً أن تمثيلات الاستشراق تتوافق معه. بحسب رأي سعيد، فإن إضفاء الطابع الشرقي على الشرق لم يحدث فقط لأن الأوروبيين في القرن التاسع عشر وجدوا أنه "شرقي" من جميع الجوانب التي كانت طبيعية ودنيوية بالنسبة لهم، ولكن لأنه "يمكن أن يكون شرقياً" أو بعبارة أخرى، استسلم لكونه شرقياً³¹.

بهذه الطريقة يستخدم سعيد نظرية غرامشي في كتابه "الاستشراق". يقول سعيد في هذا السياق: قام غرامشي بتمييز تحليلي مفيد بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي. في تحليله يتألف المجتمع المدني من مؤسسات تطوعية (أو على الأقل مؤسسات لا تُفرض نفسها) مثل المدارس والعائلات والنقابات من جهة والمؤسسات الحكومية (مثل الجيش والشرطة والمؤسسات البيروقراطية) التي يكون دورها في العلاقات الاجتماعية والسياسية هي الهيمنة المباشرة، من ناحية أخرى. بالطبع يمكن العثور على الثقافة في المجتمع المدني وهي مؤثرة، أي في إطار لا يحدث تأثير الأفكار والمؤسسات والناس من خلال الهيمنة، ولكن من خلال ما يسميه غرامشي الرضا أو التسوية. لذلك في أي مجتمع غير شمولي، تسود بعض الأشكال الثقافية على غيرها، تماماً كما يكون تأثير بعض الأفكار أكثر من تأثير الأفكار الأخرى. شكل هذه القيادة الثقافية هو ما أطلق عليه غرامشي الهيمنة، وهذا مفهوم مطلوب بشكل عاجل لفهم الحياة الثقافية في العالم الصناعي للغرب. هذه الهيمنة الثقافية أو

في الواقع النتيجة العملية لهذه الهيمنة الثقافية هي التي أعطت الاستشراق قوة واستمرارية.³² هذه القاعدة هي أيضًا مثال على نفس الصورة التي تم إنشاؤها في غلوباليا وخارجها من قبل القوى العظمى في العقلية العامة، والتي يقبلها الجمهور دون أي مقاومة.

3.3. التابع في رواية الأزمان المظلمة وغلوباليا: استخدم الناقد الماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي لأول مرة، كلمة "التابع" كمفهوم نقدي في كتابه "مذكرات السجن" (1929-1935) لوصف الأشخاص الخاضعين لهيمنة الطبقة الحاكمة. هو يجادل بأن تاريخ الطبقة الحاكمة يتحقق من خلال الدولة؛ أي أن التاريخ هو تاريخ الحكومات والجماعات المهيمنة. من وجهة نظر غرامشي، فإن تاريخ المجموعات الاجتماعية التابعة مفكك وغير متصل لامحالة، لأنه يخضع دائمًا لأنشطة الجماعات الحاكمة، حتى عندما يتمرد.³³

بهذه الطريقة، ألهمت نظريات غرامشي حول مفهوم التابع مجموعة من مؤرخي جنوب آسيا لتشكيل "جماعة دراسات التابع" الهندية. حاول أعضاء هذه المجموعة، أثناء بحثهم عن مقاومة الفلاحين الهنود في الثمانينيات، تقديم سرد جديد لتاريخ الهند وجنوب آسيا. لاحقًا، كتبت سبيفاك مقالًا بعنوان "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟" وبهذه الطريقة أصبحت قضية التابع مبدأ في نظرية ما بعد الاستعمار.

وفقًا لرأي سبيفاك، كان ينبغي على جماعة دراسات التابع طرح هذا السؤال مسبقًا. "إن استعادة صوت التابع عند سبيفاك مشروع محكوم عليه بالفشل، وذلك راجع لعدة اعتبارات تشير إليها في عدة مواضع من كتبها، أولًا تشير سبيفاك إلى ضرورة التفريق بين مصطلح speak مقابلًا للكلام و talk مقابلًا للتحدث، فالكلام في عرف سبيفاك هو فعل وردة فعل بين باثٍ ومثلّق، وهذا الذي قصدت به سبيفاك بعدم المقدرة على الكلام؛ وليس الكلام بما هو منجز لفظي إنساني يتم على مستوى

جهاز النطق، إنما الكلام بما هو تفاعل واستجابة بين أنا وآخر، بين مستعمر ومستعمر.³⁴

الآن وفقاً للوضع الذي أوجده نظام العالم الحديث للدول المختلفة، من الواضح استخدام كلمة "التابع" كمرادف لبلدان "العالم الثالث"، لأنه في هذا النظام أصبحت دول قليلة مثل الولايات المتحدة والدول الأوروبية غنية ومهيمنة والدول الأخرى، وخاصة دول العالم الثالث، فقيرة وتحت استغلال الطبقة الحاكمة.

وفي ما يخص الفكر العربي المعاصر حول العلاقة مع الغريمن القول إن هذه العلاقة قد مثلت اشكالية كبرى في الفكر العربي؛ "إذ أدت إلى انقسام العرب، فهم إما متمسكون بالماضي، واقعون تحت تأثير سلطة التراث، وإما علمانيون خاضعون لتأثير الغرب، أو توفيقيون يحاولون إقامة توازن شبه مستحيل بين التراث والغرب، وهم في حالاتهم تلك أسرى لما هو خارج عن ذواتهم؛ إذ إنهم يعانون استلاباً أمام قوة الغرب، مما أفقد الذات العربية خصوصيتها، وحدّ من إمكانية تفردّها واستقلالها."³⁵ إذن يعد مفهوم التابع أو تبعية الشرق للغرب من أوضح المفاهيم في الأدب العربي، وخاصة الروايات وقد كان دائماً محل اهتمام العديد من النقاد والكتاب.

أما الرواية الحديثة فقد تتعامل بشكل أساسي من زاوية واحدة ومن جانب واحد مع قضية الصراع بين الشرق والغرب أو الشمال والجنوب، والتي تتكرر في العديد من الأعمال الأدبية إلى حد أن هناك سمات ثابتة تقريباً في هذه الأعمال الروائية؛ على سبيل المثال، في كل هذه الروايات نكتشف أن الشخصية الرئيسية في القصة تسافر إلى إحدى الدول الأوروبية لمواصلة التعليم واكتساب المعرفة، فبهذه الطريقة يتواصل البطل مع حضارة ذلك البلد، وفي معظم هذه الروايات، بسبب اللقاء بين الرجل الشرقي والمرأة الغربية تتكشف له أبعاد الحضارة الأوروبية. هذه المواطنة

الثقافية في الرواية العربية ألهمت بعض الباحثين ليقولوا إن ذنوب المثقف الشرقي أو المستعمر المقيم في الغرب تبدو بلا نهاية وأن العلاقة بين الدول المختلفة والدول المتحضرة أشبه بالعلاقة بين الرجل والمرأة والتي تقوم على أساس الهيمنة والسيطرة والسلطة وفي النهاية الخضوع والمعاناة والمشقة.³⁶

إلا أن طالب عمران تصرف بشكل مختلف تماماً في روايته، فبطل قصته ليس شخصاً سافر إلى أوروبا للدراسة وعانى من الاغتراب أو الصراع في هويته، لكن نرى أن القصة تبدأ من حيث الدكتور قاسم عاد إلى وطنه ويريد خدمة بلده بعد حصوله على درجات أكاديمية عالية في الغرب:

"بعد عشر سنوات من الغربة، عاد قاسم إلى الوطن، وكله أمل وتفاؤل بالمستقبل، متهيئاً ليوطف إمكاناته العلمية في خدمة بلده، وهو يحمل أعلى الشهادات العلمية، بعد أن قدم إنجازات كبيرة في الجامعات ومراكز البحوث في الدولة المتطورة التي كان يعمل فيها..."³⁷

وهكذا كما نلاحظ أن الدكتور قاسم يرى التخلف في بلده ومطلع عليه جيداً، إلا أنه يعطي الحق لمواطنيه ويعتبر القوة العظمى هي السبب الأصلي في عدم التنمية والتقدم لوطنه وكثيراً من دول العالم الثالث. يقول الراوي في هذا السياق:

"حين حطت الطائرة في المطار، ودخل في النفق الملتوي ليرى نفسه مع بقية الركاب يسيرون في بهو واسع مندفعين للوصول إلى مكاتب الأمن العام، ثم إلى صالة استلام الأمتعة، ثم إلى مصاطب رجال الجمارك، شعر أن الناس لم يتغيروا كثيراً، فما زال الموظفون في أعمالهم المعتادة، ومطالبيهم وتعتيداتهم... رغم أننا ندخل في ألفية جديدة وقرن جديد... ولكن هذا لم يمنعه من وضع الأعدار لهم، وقد صمم على الصمود تجاه كل التحديات، من أجل الاندفاع نحو عطاء غير منقوص للبلد التي عاش فيها وكون فيها شخصيته وذكرياته ولأرضها وناسها..."³⁸

رغم كل هذا، لم يستطع التابع التعبير عن صوته في هذه القصة؛ فالدكتور قاسم كان يحاول إثبات هويته بخصائصها الفريدة التي يمكن أن تنمو وتحقق التقدم والتطور، ولكن هيمنة الطبقة الحاكمة منعتة من وصوله إلى أهدافه وكان ذلك بالجوء إلى القوة والإكراه، فأجبرته على الانسحاب؛ وقد تم اختطافه في نفس المطار من قبل أشخاص يعملون في منظمة "البنائون الأحرار". هذه المنظمة التي تعمل وفق أهداف الصهيونية والقوة العظمى الأمريكية أجبرته على التعاون معها؛ إذن نلاحظ أنه ليس فقط فشل في محاولة بناء وطنه وتنميته، بل وحتى اضطر إلى الهروب ومغادرة بلده لإنقاذ حياته؛ لذلك نرى أن التابع وإن كان يريد الحفاظ على استقلالية شخصيته وهويته ويحاول الدفاع عنها وتحسين نفسه، إلا أنه لا يزال غير قادر على ذلك؛ لأن القوة المتسلطة لا تسمح له من أجل الحفاظ على منصبها وهيمنتها.

بعد تقديم نظرية صراع الحضارات من قبل صموئيل هنتنغتون، المتخصص الأمريكي في العلوم السياسية، وحجته بأن الحروب بعد الحرب الباردة لن تكون بين الدول، بل بين الثقافات، وسيصبح التطرف الإسلامي أكبر خطر لهيمنة الغرب على العالم، نشهد شكلاً جديداً من العلاقة بين الشرق والغرب في الأعمال الأدبية الغربية. هذا الشكل الذي يتخذ لوناً دينياً أكثر، يصبح أكثر سخونة بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001م. تركز معظم وسائل الإعلام الغربية على ربط الإرهاب بالإسلام لترسيخ فكرة صدام الحضارات والصراع بين الغرب والإسلام في الرأي العام، وهذه هي الصورة نفسها التي تظهر في بعض الروايات الغربية.³⁹

ومع ذلك لا نرى الصورة نفسها في رواية غلوباليا، بل وكما ذكرنا من قبل، نجد في الرواية المذكورة أن العمليات الإرهابية تنظمها القوى العظمى وتعلقها بالإسلام والمسلمين؛ لذلك فإن التابع في هذه القصة ليس هو الذي لديه صراع حول

هويته وجنسيته ولا الذي يسعى للانتقام والعمليات الإرهابية، إنه حتى لا يرى في نفسه القدرة على المواجهة والتعامل مع مثل هذه القوى. يقول الراوي في هذا السياق:

- لقد وافق الشعب في مناطق اللامتناهية على سلوك غير مبال وعدائي نسبياً تجاه الناس في غلوباليا وأخذ قوتهم الساحقة كأمر مسلم به. بالنسبة لهم، كما أن عالم الحيوانات والنباتات عالمان مختلفان تماماً، كان عالم غلوباليا عالماً مختلفاً عنهم. لم يقارن فرزور بين فقر حياته اليومية والفقر الظاهر في جميع المناطق اللامتناهية بثروات وأمالك العالم. خاصة أن فكرة تغيير العالم والاستفادة ذات يوم من هذه الفوائد لم تخطر على باله وبدا له أن الحصول على مثل هذه الأشياء كان مستحيلاً لفترة طويلة.⁴⁰

إذن في هذه الرواية يكون التابع في حالة من اليأس والعجز، فهو لا يتخذ أي إجراء لتغيير وضعه وكأنه قبل هذه الاختلافات كقوة غير متكافئة وبعيدة عن العدالة بين الصياد والمطارد، وبالتالي يراها غير قابلة للتغيير، فاستسلم للوضع القائم وخضع له.

4-خاتمة: تدلّ النتائج على أن عمران وروفين، كانا من أشدّ المعارضين والمنتقدين للعولمة وكلاهما كتب روايته بعد هجمات الحادي عشر سبتمبر وعبرا عن قلقهما بشأن الأحداث التي تلت ذلك. وفي قصة غلوباليا يصور المؤلف عالم الواقع المرير أو ديستوبيا التي ظهرت نتيجة للعولمة. هو في الواقع باختياره هذا العنوان لروايته، يظهر الآثار الضارة للعولمة على العالم وخاصة على الدول النامية والضعيفة. كما أن عمران يعتبر العولمة خطة القوى العظمى وهي في الواقع نفس الخطة التي تستفيد منها الدول القوية مثل الولايات المتحدة وأوروبا، بينما تغرق الدول الأخرى أكثر فأكثر في مستنقع الفقر والبؤس.

كما يلاحظ في رواية غلوباليا أن العالم منقسم إلى قسمين؛ القسم الأول يشكل العالم المتحضر الذي يوجد في المركز والقسم الآخر على الهامش، عالم اللامتناهي، مع كل الصفات السلبية المنسوبة إليه. هذا الانقسام واضح أيضاً في رواية الأزمان المظلمة؛ يعتقد عمران أن العالم انقسم عمومًا إلى قسمين، قسم يتكون من عدد قليل من الحكام والمتسلطين وأتباعهم، والقسم الآخر يتكون من الفقراء والمضطهدين. ووفقاً لرأي ادوارد سعيد، يرى روفين أيضاً أن مثل هذه التقسيمات والحدود ليست طبيعية على الإطلاق ويتم تحديدها تدريجياً وإرادة بشرية وليس أمام الناس خيار سوى قبول هذه التمثيلات والانقسامات؛ وهذا الخضوع والقبول هو نفس الرضا أو التسوية التي أطلقها غرامشي تحت عنوان السيطرة، ووجدها سعيد منطبقة مع تمثيلات الاستشراق.

كذلك يعد مفهوم التابع أو تبعية الشرق للغرب من أوضح المفاهيم في الروايات ومحل اهتمام العديد من النقاد والكتاب كعمران وروفين. يكون التابع في رواية غلوباليا في حالة من اليأس والعجز، فهو لا يتخذ أي خطوة لتغيير وضعه وكأنه قبل هذه الاختلافات كقوة غير متكافئة وبعيدة عن العدالة بين الصياد والمطارد، وبالتالي يراها غير قابلة للتغيير، فاستسلم للوضع القائم وخضع له، ولكن التابع في رواية الأزمان المظلمة يريد تغيير وضعه لكنه لم يستطع التعبير عن صوته؛ فهو رغم كل محاولاته للحفاظ على استقلالية شخصيته وهويته والدفاع عنها وتحسين نفسه، إلا أنه لا يزال غير قادر؛ لأن القوة المتسلطة لا تسمح له بذلك من أجل الحفاظ على منصبها وهيمنتها.

وكما يتبين فإن أوجه التشابه بين هاتين الروايتين أكثر من اختلافهما، وما يجمع هاتين الروايتين هي الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة كالعولمة والفقر والإرهاب؛ فمثل هذه الأمور لا تختص بمكان واحد أو بلد خاص،

لكنها تؤثر على الكوكب بكل ما فيه؛ ولذلك فمن الطبيعي أن تكون محل اهتمام الكتاب من مختلف أرجاء العالم. ومن ناحية أخرى نلاحظ أن روفين كان من الروائيين الذين سافروا إلى عدد لا يحصى من الدول الآسيوية والأفريقية وشهد الأوضاع فيها عن كثب، فلهذا نجد أنه متفق مع عمران، الذي ولد في بلاد الشرق وعانى ما رآه من الفقر والحرمان وآثار الدمار والحروب في بلاده.

5- قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

-إبراهيم خليل الشبلي، الذات والآخر في الرواية السورية، دار فضاءات، (عمان:2019).

-آنيا لومبا، الكولونيالية وما بعدها، ترجمة: د. باسل المسالمة، دارالتكوين، (دمشق:2013).

-ديفيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمه: د. باسل المسالمة، دار التكوين، (دمشق: 2010).

-ژان كريستوف روفين، ديوار بلورين (غلوباليا)، ترجمه: مهدي صفى نيا، هورأفريد، (تهران:1384).

-Bill Ashcroft, Gareth Griffiths, Helen Tiffin, POSTCOLONIAL STUDIES, Routledge,(LONDON AND NEW YORK: 2007).

-Edward Said, ORIENTALISM, Vintage Books, (NEW YORK: 1979).

-E. Joseph Stiglitz, Globalization and its discontents,(2002)

-Gayatri Chakravorty Spivak, Can the Subaltern Speak, Columbia University Press, (New York:1988).

-Hans Bertnes, Literary Theory (The Basics), Routledge, (LONDON AND NEW YORK: 2001).

-Irna.Rima Makaryk, Encyclopedic of Contemporary Literary Theory (Approaches, Scholars, Terms),University of Toronto Press Incorporated, (Canada:1995),

-John MC. Leod, The Routledge Companion to Postcolonial Studies, Routledge, (LONDON AND NEW YORK: 2007),

-Leela Gandhi, Postcolonial Theory, Allen & Unwin, (Australia: 1998),

المجلات:

-أحلام بن الشيخ، مشهديات الديستوبيا في روايه «جملكيه آرابيا» لواسيني
الاعرج، دراسات أدبية، العلامة، العدد6، 2018.

-بوزيد سراغني، العولمة القانونية وآلياتها، مجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد
التاسع، 2016.

-علي بوسكرة، الهوية العربية وتحديات العولمة بين الرفض والقبول، مجلة
أكاديمية فصلية محكمة تعنى بالبحوث الفلسفية والاجتماعية والنفسية. المجلد 6.
العدد7، 2019.

-محمد علي آذرشب، فاطمة أعرجي، تمثيل هوية التابع في الرواية العربية
الجديدة (رواية شيكاغو أنموذجاً)، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها،
طهران: 1396، العدد 26.

-ياسين كريم، دراسات مابعدالكولونيالية عند "جماعة التابع" الهندية، المدونة،
المجلد6، 2019، العدد3.

الهوامش

¹-Irna.Rima Makaryk, Encyclopedic of Contemporary Literary Theory (Approaches, Scholars, Terms), University of Toronto Press Incorporated, (Canada:1995), 155.

²- أنيا لومبا، الكولونيالية ومابعدھا، ترجمة: باسل المسالمة، دارالتكوين، (دمشق: 2013)،
ص 315.

³-ژان كريستوف روفين، ديوار بلورين (غلوباليا)، ترجمه: مهدي صفی نیا، هورآفريد،
(تهران: 1384)، ص116.

- ⁴-طالب عمران، المرجع السابق، ص160.
- ⁵- Hans Bertnes, Literary Theory (The Basics), Routledge, (LONDON AND NEW YORK: 2001), 205.
- ⁶-علي بوسكرة، الهوية العربية وتحديات العولمة بين الرفض والقبول، مجلة أكاديمية فصلية محكمة تعنى بالبحوث الفلسفية والاجتماعية والنفسية. المجلد 6. العدد7، 2019، ص120.
- ⁷-Bill Ashcroft, Gareth Griffiths, Helen Tiffin, POSTCOLONIAL STUDIES, Routledge,(LONDON AND NEW YORK: 2007), 100.
- ⁸- بوزيد سراغني، العولمة القانونية وآلياتها، مجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد التاسع، 2016، ص173.
- ⁹-Bill Ashcroft, Gareth Griffiths, Helen Tiffin, op. cit., p.32.
- ¹⁰-Irna.Rima Makaryk,op. cit., p.587.
- ¹¹-Gayatri Chakravorty Spivak, Can the Subaltern Speak, Columbia University Press, (New York: 1988),84.
- ¹²- ديفيد كارتر، النظرية الادبية، ترجمه: باسل المسالمة، دار التكوين، (دمشق: 2010)، ص128.
- ¹³Leela Gandhi, Postcolonial Theory, Allen & Unwin, (Australia: 1998), 90.
- ¹⁴Bill Ashcroft, Gareth Griffiths, Helen Tiffin, op. cit., p. 201.
- ¹⁵- ژان كريستوف روفين، المرجع السابق، ص429.
- ¹⁶-المرجع نفسه، ص 116.
- ¹⁷- احلام بن الشيخ، مشهديات الديستوبيا فى روايه «جملكيه آرايبا» لواسينى الاعرج، دراسات أدبية، العلامة، العدد6، 2018، ص 65.
- ¹⁸-E.Joseph Stiglitz, Globalization and its discontents,(2002).p.248.
- ¹⁹-Ibid., p. 7.
- ²⁰-طالب عمران، المرجع السابق، ص 398.
- ²¹-المرجع نفسه، ص 401.
- ²²-ژان كريستوف روفين، المرجع السابق، ص 427.
- ²³- John MC. Leod, The Routledge Companion to Postcolonial Studies, Routledge, (LONDON AND NEW YORK: 2007), p.2.
- ²⁴-Bill Ashcroft, Gareth Griffiths, Helen Tiffin, op. cit., p. 121.
- ²⁵-Ibid., p.33.

- ²⁶-ژان كريستوف روفين، المرجع السابق، ص424.
- ²⁷-طالب عمران، المرجع السابق، ص 299.
- ²⁸Edward Said, ORIENTALISM, Vintage Books, (NEW YORK: 1979),p. 5.
- ²⁹-ژان كريستوف روفين، المرجع السابق، ص 431.
- ³⁰-المرجع نفسه، ص 356.
- ³¹-Edward Said, op. cit., p.6.
- ³²- Ibid., p.7.
- ³³-Bill Ashcroft, Gareth Griffiths, Helen Tiffin, op. cit., p. 198.
- ³⁴-ياسين كريم، دراسات مابعدالكولونيالية عند "جماعة التابع" الهندية، المدونة، المجلد6، 2019، العدد3، ص 742.
- ³⁵-إبراهيم خليل الشبلي، الذات والآخر في الرواية السورية، دار فضاءات، (عمان:2019)، ص 21.
- ³⁶محمد على آذرشب، فاطمة أعرجي، تمثيل هوية التابع في الرواية العربية الجديدة (رواية شيكاغو أنموذجاً)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، طهران:1396، العدد 26.
- ³⁷-طالب عمران، المرجع السابق، ص 7.
- ³⁸-المرجع نفسه، ص 7.
- ³⁹-إبراهيم خليل الشبلي، المرجع السابق، ص 32.
- ⁴⁰-ژان كريستوف روفين، المرجع السابق، ص 291.